

العلاقات الاميركية الايرانية ، نظرة الى الوراء ، نظرة الى الامام

بقلم : فلينت ليفريت

صادر عن :مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

المقدمة :



تُعدّ العلاقات الاميركية -الايروانية من اهم المتغيرات التي تؤثر في البيئـة الاستراتيجية لمنطقة الخليج العربي .ومنذ الحرب التي شنتها الولايات المتحدة الاميركية لاطاحة صدام حسين ,ازدادت السياسة الاميركية إزاء ايران أهمية في السياسة الخارجية الاميركية بسرعة بالغة.أما في الجانب الايراني ,فإن قضية علاقات الجمهورية الاسلامية مع الولايات المتحدة الاميركية اضحت اهم قضايا السياسة الخارجية بالنسبة الى طهران ,ومن القضايا المركزية في الدراما السياسية الداخلية الايرانية.كما ان الوضع الراهن والمسار المستقبلي للعلاقات الايرانية -الاميركية من القضايا التي تشغل شعوب دول الخليج العربية .ولهذه الاسباب مجتمعة,فقد حان الوقت للنظر في العوامل التي تشكل العلاقة الثنائية المهمة بين الطرفين.

التركة التاريخية :

من الواضح ان العلاقات الايرانية-الاميركية مثقلة بتركة تاريخية ثقيلة تجعل من الصعب على الطرفين ان ينظر كلاهما الى الآخر عبر منظور المصلحة الذاتية الوطنية وان يواجهها ويسويا القضايا العويصة التي تفرق بين الدولتين.

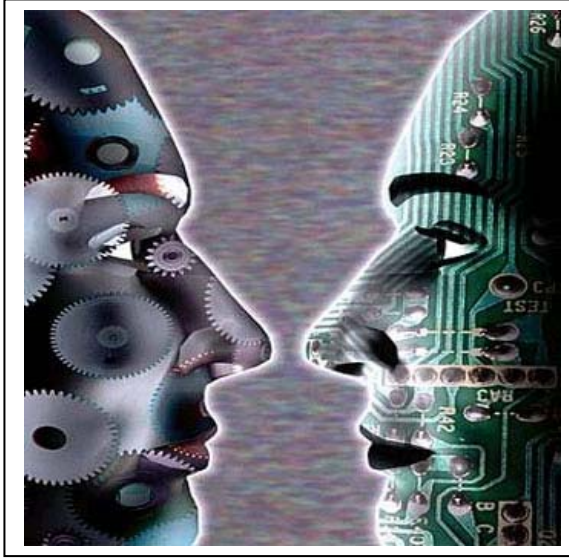
بالنسبة الى العديد من الاميركيين ,فإن ايران دولة معادية للولايات المتحدة الاميركية منذ ظهور الجمهورية الاسلامية الايرانية,وذكرات ازمة الرهائن الاميركيين في طهران مازالت تترك اثرها في الرؤية الاميركية للنظام السياسي الايراني ,ويقترن بهذه المعاداة الايدولوجية للولايات المتحدة النظرة السائدة بان الجمهورية الاسلامية الايرانية مستعدة لاستخدام وسائل غير شرعية وربما غير اخلاقية لمتابعة خطتها وذلك على النحو التالي :

- تقدم ايران دعما متواصلا لجماعات تعتبرها الحكومة الاميركية جماعات ارهابية ,واهمها بطبيعة الحال حزب الله التي قتلت العدد الاكبر من الاميركيين مقارنة مع اي جماعة ارهابية اخرى اذا استثنينا ضحايا احداث ١١ سبتمبر.
- يُفهم في واشنطن ان هناك مؤامرة ايرانية واضحة لمهاجمة قوات اميركية في ابراج الخبر في المملكة العربية السعودية في عام ١٩٩٦ وهو ما يبقى في الوعي ان الجمهورية الاسلامية الايرانية مازالت معادية للولايات المتحدة الاميركية وللمصالح الاميركية (ساقول الكثير لاحقا حول وجود افراد من القاعدة على الاراضي الايرانية)

وفي هذا السياق فإن دعم ايران للارهاب المحارب لاسرائيل يُنظر اليه في الولايات المتحدة الاميركية باعتباره هوسا دمويا معاديا للسامية ,وهو ما يؤكد النظرة الاميركية بان الجمهورية الاسلامية الايرانية دولة غير سوية.وأود ان اؤكد هنا انه عند استعمال " عمليات ارهابية ضد اسرائيل " فان ذلك لا يشمل فقط عمليات حزب الله ضد القوات الاسرائيلية التي تختل اراضي لبنانية بل اشير الى العمليات الموجهة ضد اهداف مدنية خارج المنطقة بدعم من ايران.(وفي هذا السياق خلصت محكمة ارجنتينية في مطلع عام ٢٠٠٢ الى ان ايران كانت وراء تفجيرات عام ١٩٩٤ لا ضد السفارة الاسرائيلية في بوينس ايريس وحسب بل ضد جماعة يهودية وهي التفجيرات التي اودت بحياة عدد من المدنيين).

لطالما نظرت واشنطن الى معارضة ايران جهود صنع السلام العربي -الاسرائيلي ومعارضتها لوجود القوات الاميركية في منطقة الخليج ,على انها من الامور المزعومة للاستقرار في المنطقة . وبطبيعة الحال سنتحدث بشئ من التفصيل حول

اود ان اشير هنا الى ان سعي اسلحة دمار شامل -وهو النظام للمصالح الامريكية والساعية الى ذات اهمية حاسمة في العالم- انما تحسن العلاقات بين الطرفين. قائمة خاصة بها بالامور التي منها دور واشنطن في اطاحة الى الحكم في عام ١٩٥٣، ودعمها والسبعينيات من القرن الاجتماعي التي اطاحت بنظام آل الامور تجعل الايرانيين، على اختلاف بالنوايا الامريكية ازاء بلدهم. وما الثمانينات عندما قدمت الادارة ولوجستيا واستخباراتيا لنظام صدام حسين في ايران ينظرون الى العقوبات الامريكية على ايران بوصفها اسهاما في



البرنامج النووي الايراني غير انني النظام الحاكم في ايران لامتلاك الذي يعد احد الانظمة المعادية زعزعة الاستقرار في منطقة يشكل عائقا اضافيا امام وبطبيعة الحال، فان ايران تمتلك تنتقدها في الادارة الامريكية حكومة مصدق واعادة الشاه للشاه طوال الستينيات العشرين، ومعارضتها للحركة بهلوي في عام ١٩٧٩. إن مثل هذه مشاريعهم السياسية، يشكون يعزز هذه الشكوك تجربة الامريكية دعما سياسيا صدام حسين طوال حربه مع ايران، كما ان البعض في ايران ينظرون الى العقوبات الامريكية على ايران بوصفها اسهاما في المتاعب الاقتصادية التي تشهدها البلاد.

محاولات مجهضة او فاشلة :

خلال الثمانينات والتسعينيات، وحتى الهجوم على ابراج الخبر في عام ١٩٩٦ لم يكن واضحا ان الولايات المتحدة الامريكية او ايران كانا ينظران الى عملية تطوير العلاقات بين الطرفين بوصفها تصب في مصلحتيهما، فمحاولات ادارة الرئيس رونالد ريجان لفتح حوار دبلوماسي مع ايران، بعد المعانات الطويلة التي عاشتها الولايات المتحدة الامريكية خلال ازمة احتجاز رهائنها في لبنان، وصلت الى اخفاق مع فضيحة "ايران كونترا" الشهيرة. كما لم تفعل ادارة الرئيس جورج بوش الاب شيئا يذكر لاستكشاف فرص علاقة نشطة مع ايران، فيما تبنت ادارة الرئيس بيل كلنتون بداية سياسة "الاحتواء المزدوج"، حيث وضعت ايران على قدم المساواة مع عراق صدام حسين بعد انتهاء حرب الخليج الاولى.

ولكن بعد انتخاب الرئيس محمد خاتمي في عام ١٩٩٧ وصدور الحكم في قضية حادثة مطعم "مايكونوس" الشهيرة في السنة نفسها، بدأت ايران في تبني سياسة التوافق مع اوروبا وبعض دول الخليج والمشاركة بطريقة ايجابية في المنظمات الدولية. ورغم أن مثل هذه المبادرات لم تظهر وكأنها تسعى الى مقارنة مع الولايات المتحدة الامريكية غير انها مثلت اشارة الى ان الجمهورية الاسلامية الايرانية قد تكون مستعدة لان تتصرف انطلاقا من التصور التقليدي للمصلحة القومية وهذا ما زاد احتمالات حدوث تقارب في العلاقات الامريكية - الايرانية.

وفي هذه الاجواء طرحت وزيرة الخارجية الامريكية السابقة مادلين اولبرايت عرض ادارة بيل كلنتون ببدء حوار موثوق وغير مشروط مع طهران. وبطبيعة الحال لم تكن ايران مستعدة لحوار دبلوماسي على هذا الاساس، مشترطة مسبقا ان تقوم الولايات المتحدة الامريكية برفع العقوبات واعادة الاصول الايرانية المجمدة، ونتيجة لذلك ظلت مبادرة ادارة كلنتون تراوح مكانها.

- اود ان اشير هنا الى ان ادارة جورج بوش الحالية لم تؤكد العرض السابق بإقامة حوار موثوق وغير مشروط مع ايران، غير انها لم تتبرأ من العرض ايضا.
- كما اود ان اشير الى ان عددا من المسؤولين والاكاديميين الايرانيين قد اسرؤوا إلى ان ايران قد اخطأت عندما لم ترد بطريقة ايجابية على عرض وزيرة الخارجية مادلين اولبرايت.

التعاملات الامريكية الراهنة مع ايران

هجمات ١١ سبتمبر وتبعاتها

في اعقاب الهجمات الارهابية التي وقعت في الولايات المتحدة الامريكية في ١١ سبتمبر ٢٠٠١ فإن الصدمة المهولة الناجمة عن هذه الاحداث الفظيعة دفعت الولايات المتحدة الامريكية وايران الى البدء في التفكير بشأن الخيارات المتاحة لكل منهما بطرق مختلفة. ومن المؤسف حقا ان الخلافات الداخلية في الجانبين ادت الى سياسات غير واضحة, بل وعند نقاط حاسمة, الى سياسات داخلية متناقضة اعاقت التوجه نحو علاقة بناءة اكثر من ذي قبل.

في الجانب الامريكي فإن هجمات ١١ سبتمبر قادت الى اعادة النظر بطريقة جوهرية في السياسة الامريكية ازاء ايران وبطريقة غير مسبوقة منذ الايام المثيرة بعد وصول محمد خاتمي الى السلطة, إذ كان خاتمي من أوائل قادة العالم الذين شجبا الهجمات علانية, ونددوا بتدبيرها بالغا بالقاعدة وما تنطوي عليه من تطرف, إذ لم تكن الجمهورية الاسلامية الايرانية على علاقة ودية مع القاعدة, إذ أن نظام طالبان الذي مثل راعيا رسميا للقاعدة في افغانستان قد عرف باضطهاده للشيعية من الافغان كما ان ناشطين من طالبان اقتحموا القنصلية الايرانية في مزار شريف, ما ادى الى مقتل عدد من الدبلوماسيين الإيرانيين.

هجمات ١١ الى البعض في -واعد نفسي فرصة للولايات لدراسة الفرص عن الارهاب وقد ايران للقاعدة فرصة مثالية تكتيكيا ضد المهمين في الحرب الوقت نفسه فإن الامريكية كان من مثل هذا الامثل لبدء حوار استراتيجية مع



وقد كانت سبتمبر بالنسبة ادارة الرئيس بوش واحدا من هؤلاء- المتحدة الامريكية المتاحة لإبعاد ايران كانت كراهية وطالبان معا لطلب تعاون ايران هذين الهدفين على الارهاب. وفي الولايات المتحدة يمكنها الاستفادة التعاون بالشكل ذي طبيعة

طهران حول صلة طهران بالمنظمات الارهابية وخاصة في ضوء حرص ايران على الا تكون هدفا في الحرب على الارهاب. غير أن احداث ١١ سبتمبر جعلت آخرين في ادارة الرئيس جورج بوش يطالبون بمنهجية مختلفة تماما في التعامل مع ايران. ومن هذا المنظور فإن الجمهورية الاسلامية الايرانية وحزب الله كانا متمما شيعيا للتطرف الاسلامي السني القتالي المتمثل في شخصية اسامة بن لادن, وقد اكد هؤلاء على ضرورة القضاء على هذين الطرفين الارهابيين وعلى الدول الراعية لهما وكان التساؤل المطروح: اي الطرفين يستهدف اولا وما توقيت ذلك؟

إن هذين الرأيين المختلفين في السياسة الخارجية الامريكية خلقا موقفا امريكي متناقضا ازاء ايران وفي اعقاب احداث ١١ سبتمبر كثفت الولايات المتحدة الامريكية حوارا تكتيكيا كانت قد بدأت ورسخته مع ايران بشأن القضايا الافغانية في اطار ما عرف باسم (٦+٢) * في الامم المتحدة مطورة قناة ثنائية مستقلة في جوهرها. غير ان الادارة الامريكية لم تكن راغبة في ان يصل مثل هذا الحوار التكتيكي الى مستوى مناقشات استراتيجية حقيقية. وفي الوقت نفسه لم تعتمد الولايات المتحدة الامريكية الى اتخاذ موقف علني تتبنى فيه رسميا تغيير النظام في ايران.

مثل هذا الموقف الذي جذر في الانقسامات الداخلية في ادارة الرئيس بوش اكثر من ان يكون قرارا استراتيجيا واضحا خلق ارتباكا وقلقا في العاصمة الايرانية. اما بالنسبة الى المسؤولين الإيرانيين الذين دعموا تعاونا تكتيكيا مع الولايات المتحدة الامريكية بشأن القاعدة وافغانستان وكانوا مهتمين بتعاون اوسع نطاقا, فإن السياسة الامريكية بدت وكأنها تعرض القليل مقابل مثل هذا التعاون بل بدت وكأنها لا تقود نحو حوار استراتيجي اكثر من ذي قبل, وكانت وجهة النظر الايرانية ان السياسة الامريكية لا تقدم لها مقابلا مناسبيا في هذا الصدد.

وعلى الجهة الاخرى فإن ايران نفسها قامت بدراسة سياستها واعادة تقويمها بعد احداث ١١ سبتمبر. البراجماتيون في ايران دعموا ضمنا وفي مراحل معينة مباشرة, الخنطط الامريكية الرامية الى اطاحة طالبان وطرد القاعدة من افغانستان, وكذلك الرامية الى تحقيق الاستقرار في افغانستان عبر حكومة تمثل كافة اطراف وطوائف الدولة والتي من شأنها حماية حقوق الجماعات العرقية والدينية في افغانستان. وفي الوقت نفسه فان عناصر الحرس الثوري الاسلامي الإيراني سعت الى اختراق الوية اللاجئين الافغان التي دربها الحرس الثوري والمعروفة باسم " صفي محمد " وبناء علاقات وطيدة مع امرء الحرب في البلاد في محاولة للحصول على موطنٍ قدم فيها والاستعداد لمواجهة الولايات المتحدة الامريكية اذا ما دعت الضرورة الى ذلك.

إن هذه التطلعات المتنافسة انتجت موقفا ايرانيا ازاء افغانستان بدا من جوانب عديدة مؤكدا ومؤيدا لوجهة نظر المسؤولين الامريكيين الذين رأوا ان ايران يمكن ان تقدم مشاركة ايجابية في مجالات مرتبطة بالامن القومي الامريكي الحيوي. وفي الوقت نفسه فإن موقف ايران اكد وجهة نظر المخططين العسكريين الامريكيين بان القوات الامريكية في افغانستان قد تواجه تهديدات اضافية من قوات تقاتل بالوكالة عن الايرانيين. ويمكننا ان نرى تأثير المواقف الايرانية الداخلية المتناقضة على السياسة الامريكية من خلال وضع هذين المشهدين جنبا الى جنب, اما المشهد الاول فرأيناه في المؤتمر الذي عقد في بون في كانون الاول اديسمبر ٢٠٠١ حين بادر المسؤولون الامريكيون والاييرانيون الى مناقشة سبل بناء حكومة افغانية في حقبة ما بعد طالبان فيما رأينا المشهد الثاني بعد ذلك بشهر حين وضع الرئيس بوش ايران ضمن دول "محور الشر" وذلك في خطاب "حال الامة" لسنة ٢٠٠٢.

كما ان الانقسامات داخل القيادة الايرانية قد اسهمت في تشكيل التفاعلات الايرانية - الامريكية بشأن مقاتلي القاعدة الذين يفرون من افغانستان, ففي مرحلة مبكرة من الحوار التكتيكي الايراني - الامريكي بشأن افغانستان, اثار المسؤولون الامريكيون قضية مقاتلي القاعدة الذين سيبحثون عن ملاذ لهم في الاراضي الايرانية. و الى حد ما اظهر المسؤولون الايرانيون استجابة للمخاوف الامريكية في هذا الشأن. كما اعتقلت قوات الامن الايرانية اعدادا ضخمة من مقاتلي القاعدة الذين حاولوا عبور الحدود الغربية الافغانية نحو ايران, بل تم اعادتهم بعضهم وهم من اصول سعودية الى المملكة العربية السعودية في عام ٢٠٠٢. فيما تم تسليم آخرين وهم من اصول افغانية الى الحكومة الافغانية الجديدة. بل ان وزارة الخارجية الايرانية اتخذت خطوات اضافية لجعل عملية عبور ايران بعد الخروج من افغانستان عملية صعبة لأولئك المرتبطين بالقاعدة. غير انه في الوقت نفسه سعت عناصر من الحرس الثوري الاسلامي الايراني الى تهريب بعض عناصر القاعدة من افغانستان. والاهم من هذا ان بعض قادة الحرس الثوري الايراني من الفاسدين, الذين هم على علاقة مع مهربي البشر والمخدرات في بلوشستان قد ساعدوا عددا محدودا من مقاتلي القاعدة بان يتخذوا من شرقي ايران ملاذا لهم. (سيتم مناقشة هذه النقطة لاحقا عندما ناقش الجدال الدائر حاليا حول بقايا خلايا القاعدة في ايران, والصلة المحتملة بين تلك الخلايا وبين التفجيرات الاخيرة في العاصمة السعودية الرياض)